

The idea of the end of literature and its influence on Arab identity**Brik Soumia¹, Fatiha Kahlouche²**^{1,2} University of Mohammed Lamin Dabagin Setif 2, Faculty of Arts and Languages, Informant of Narratives and Cultural Patterns (Algeria).**The Author's Email: brik.s@hotmail.fr¹, fatihakahlouche@gmail.com².****Received: 08/05/2023****Published: 23/10/2023****Abstract:**

The call for the death of literature in Arab culture is one of the most important claims of modernity, which is promoted by a number of Western critics who seek to obliterate the heritage and replace it by western modernity with all its projects. However, this call, apart from being a literal transfer of what the west has said, and is not based on any identity rule that is justified in our culture, is only a hypothesis that is impossible to apply on the ground because literature in relation to human life is hard to die so easily. The idea of literature death has also come within the call for interaction and the melting of cultures, which means the melting of Arab culture (subjugated) in western culture (dominant). This is unacceptable because the culture of Arabs is different from that of other nations, and it has settled on a set of fixed values that are impossible to discard.

Keywords: Arab culture, death talk, Identity, Interaction, Literature, modernity.

فكرة نهاية الأدب وتأثيرها على الهوية العربية

سمية بريك^{1*}، أ.د. فتيحة كحلوش²^{2,1} جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، كلية الآداب واللغات، مخبر السرديات والأنساق الثقافية (الجزائر).**ملخص:**

تعد الدعوة إلى موت الأدب في الثقافة العربية واحدة من أهم دعاوى الحداثة التي تزعم الترويج لها جملة من النقاد المنبهرين بالحداثة الغربية والساعين إلى طمس التراث وإحلال الحداثة الغربية، بكل مشاريعها، محلها.

غير أن هذه الدعوة، فضلا عن أنها ليست سوى نقل حرفي لما جاء به الآخر الغرب، ولا تنبني على أية قاعدة هوياتية تضمن لها مبررات الوجود في ثقافتنا، فإنها ليست سوى فرضية يستحيل تطبيقها على أرض الواقع، لأن الأدب في اتصاله بحياة الإنسان من الصعب أن يموت بهذه السهولة، كما أن فكرة موت الأدب قد جاءت في إطار الدعوة إلى التفاعل وانصهار الثقافات، ما يعني انصهار الثقافة العربية (المغلوبة) في الثقافة الغربية (الغالبة) وطمس معالم وجود الهوية العربية، وهذا ما لا يمكن تقبله لأن ثقافة العرب تختلف عن ثقافة الأمم الأخرى، وقد استقرت على مجموعة من القيم الثابتة التي يستحيل التخلي عنها والانصهار في أي كيان آخر.

الكلمات المفتاحية: الأدب؛ التفاعل؛ الثقافة العربية؛ الحداثة؛ حديث الموت؛ الهوية.**I. مقدمة**

معروف أن الأدب هو ذلك الفن القولي الذي يتصل بحياة الإنسان اتصالا وثيقا، فهو لا يستمد وجوده من اللغة وحسب، ولكنه يستمد أيضا من عواطف الإنسان ومشاعره وكل ما يتصل بحياته الداخلية (النفسية) والخارجية، لذلك فالأدب سيتأثر بكل شيء من شأنه أن يؤثر على الإنسان، يتطور بتطوره، ويتراجع بتراجع، وهكذا فقد شهد الأدب حركة تطور هائلة تعلقت بمراحل تطور هذا الإنسان، ومجمل التيارات الفكرية التي انساق وراءها وعمد إلى تبنيها واتخاذها منها حياة يسير وفقه ويبني حياته على أساسه.

لقد كانت تيارات الحداثة من أهم التيارات التي انجرف وراءها الإنسان العربي المعاصر، والتي لم يسلم الأدب من صيحاتها، ولعل من أهم صيحات الحداثة ودعاؤها القول بنهاية الأدب، ونهاية الأجناس الأدبية، في إطار المناداة بعالم لا يؤمن بفكرة التصنيف، عالم تنصهر فيه الثقافات والهويات وتنمحي لتصير كلا واحدا هو ما يمكن أن نطلق عليه مسمى "العولمة"، غير أن كل هذه الصيحات هي صيحات غريبة الأصل، ليس من رابط يربطها بالثقافة العربية غير أن ثلة من النقاد العرب قد انبهروا بمنجزات الحداثة فسعوا إلى تبنيها دون أدنى مساءلة أو تفحص لها، ودون وعي بالآثار السلبية التي قد تنعكس لا على منجزاتنا الفكرية وحسب، بل على كياننا وهويتنا

ومبررات وجودنا كعرب لهم ثقافتهم المتميزة عن ثقافات الأمم الأخرى، فإلى أي حد يمكن الأخذ بالحدثة الغربية وتطبيقها على المنجزات الفكرية العربية؟ وإلى أي مدى يمكن أن تتوافق معها بالنظر إلى الاختلاف الحاصل بين الثقافتين العربية والغربية؟ وهل يمكن فعلا الأخذ بحديث النهايات الذي شاع عند الغرب وتطبيقه على الإرث الحضاري العربي؟ ألا يؤدي هذا إلى محو معالم الشخصية العربية وطمس مبررات وجودها؟ ثم هل الأدب في اتصاله بحياة الإنسان وتعبيره عن مشاعره يمكن أن يموت بالسهولة التي يتصورها أنصار الحدثة وأتباعها؟

ما من شك بأن النقل الأعمى للحدثة الغربية ومحاولة تجسيدها داخل الثقافة العربية من شأنه أن يضر بثقافتنا أكثر مما ينفعها، كما أن فيه محاولة لإقصاء (الأنا/ العرب) أمام حضور (الأخر/ الغرب) مادام الأمر قائما على مجرد النقل الحرفي دون أدنى مساءلة لفحوى هذه الحدثة وإمكانية توافقها مع الثقافة العربية، لا سيما حينما نحاول تجسيد حديث النهايات والموت، إذ إنه سيقضي على كل جوهر وأصيل في هذه الثقافة وبالتالي سيقضي على الثقافة العربية نفسها، وهذا ما يسعى البحث إلى التنويه إليه في العديد من جوانبه، إذ إننا نهدف إلى ضرورة الوقوف على جملة الاختلافات الموجودة بين الثقافتين والتي تجعل من الصعوبة بمكان تطبيق أي مناهج دخيلة على واقع الثقافة العربية، دون أن ننفي إمكانية التفاعل والتلاقح، شريطة ألا يؤدي هذا التفاعل إلى إقصاء طرف على حساب الآخر، أو انصهار ثقافة في أخرى بدعوى حوار الثقافات وعولمتها.

ونحن وفي سعينا إلى التنبيه على هذه الأشياء ومدى خطورتها على إرثنا الحضاري العربي اعتمدنا على المنهج الجدلي التحليلي أحيانا، بما أننا في إطار مناقشة تداعيات الحدثة على النتاج الفكري العربي، وقد سارت الدراسة بالانطلاق من ثلاث عناوين رئيسية: خصوصية الثقافة العربية وتداعيات الحدثة/ حديث الموت وانعكاساته على الهوية العربية/ وأخيرا: موت الأدب بين الحقيقة والخيال، حاولنا فيها جميعا القول بأن كل دعوة للذوبان في الآخر تعني الانحياز والنهاية، وأن الفكرة قد تبدو في ظاهرها دعوة لموت الأدب، ولكن المسكوت عنه فيها هو دعوة لموت العرب وتراثهم وكل ما يتصل بهم من منتجات ثقافية وحضارية.

أولا: خصوصية الثقافة العربية وتداعيات الحدثة:

مما لا شك فيه أن الخطاب النقدي والفكري في العالم العربي، يعاني أزمة جعلته يعيش التشتت بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني، إن لم نقل التمزق.. الذي قد يكون الحتمية النهائية التي ستصل إليها الأمة العربية، إن لم توحد رؤاها وتبين وجهتها في ظل التحولات الراهنة التي يعيشها العالم اليوم، والتي زادت من حدة الأزمة العربية، وهذا راجع إلى اختلاف الثقافة العربية عن غيرها من الثقافات، بما تحمله من خصوصية فكرية ودينية وأدبية أيضا، وهكذا فإن الأصل في هذه الأزمة التي يعيشها العربي اليوم عائد إلى هذا الاختلاف الثقافي؛ فهي "أزمة واقعين ثقافيين وحضارتين مختلفتين"².

وفكرة الاختلاف هذه تطرح أمامنا قضايا عدة وتساؤلات مختلفة، فإن كان الاختلاف هو السبب الرئيس في هذه الأزمة، فهل هذا يعني أنه علينا التفرقة على ذاتنا والاكتفاء بما عندنا بدعوى الحفاظ على الخصوصية؟ أو ليس الانغلاق على الذات سبيلا إلى إرساء معالم الجهل والتخلف عن مسيرة ركب الحضارة؟ وهكذا، وإن كان الانفتاح شرطا لازما في مجال العلم والمعرفة، فهل علينا الانفتاح على الآخر إلى حد إلغاء كل خصوصية أو تميز أو اختلاف؟

إن ما يمكن قوله في هذا الصدد، أنه لا يمكن الحديث عن أي إلغاء للخصوصية والتميز، لاسيما إذا تعلق الأمر بالثقافة العربية؛ بمرجعياتها الدينية والتاريخية والأدبية، التي تجعل من واقعها واقعا مختلفا عن باقي الثقافات الأخرى، وبغض النظر عن هذا الواقع المختلف؛ فإن الاختلاف ضرورة حتمية وسنة من سنن الحياة لا يمكن أن نتجاهلها، كما لا يمكن أن نطمس معالمها بحثا عن الوحدة وعن الثقافة الواحدة كما هو شائع اليوم في كثير من الدراسات الفكرية والنقدية، التي تسعى إلى جعل كل العالم يسير تحت راية واحدة، هي راية الحدثة الغربية بلا شك، مادامت الطرف الغالب في الساحة الفكرية والنقدية، ولعله بإمكاننا تلخيص هذه الفكرة حين الحديث عن العولمة التي "تدعو إلى كوكب مفتوح تحكمه منظومة اقتصادية واحدة لا تعترف بالحدود السياسية التي تعرقل حراك الشركات المهيمنة (...). عالم واحد لا يعرف الحدود ولا يبنيني على الاختلافات أو الانغلاق، بل الأفق المفتوح الذي يذيب الخصوصيات الثقافية والهويات الحضارية المتغايرة في منظومة كوكبية واحدة"³.

وبغض النظر عما تسعى إليه العولمة فإننا لا ندعو إلى الانغلاق على الذات، بل لابد من الانفتاح على الآخر، بل وحتى التأثير به، وكذا التأثير فيه، إذ "ليس عيبا في أن يتأثر فكر ما بغيره، ولكن العيب في ألا يستطيع ذلك الفكر أن يؤثر هو أيضا بغيره"⁴، وهنا يكمن سر الأزمة العربية، فهي تتأثر دون أن تؤثر، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا.. هل هذا التأثير يخدم الأمة العربية، وهل هو في صالحها؟

إن رغبتنا في اللحاق بركب الحضارة الغربية أغفلنا عن النظر إلى الفروق التي تميز ثقافتنا عن ثقافتهم، والتغافل عن شيء مهم كهذا يجعل كل محاولة للانفتاح محاولة فاشلة لابد أن ينجم عنها عواقب وخيمة لعل أهمها

خطر التبعية الثقافية؛ الذي من شأنه أن يطمس معالم حضارتنا ومقوماتها ويجعلنا فريسة سهلة للغزو الثقافي الذي يشهده العالم العربي اليوم، هذا الغزو الذي علينا الانتباه إليه والتصدي له بشتى السبل والأساليب، فكما تقول رجاء شاهين: "مازلنا نملك مبررات توحدها، وما زالت شخصيتنا المميزة، ماذا ينقصنا إذا لكي نصمد في وجه كل التيارات والمخططات الفكرية للسيطرة على العقل العربي؟ لا ينقصنا إلا الانتباه لحقيقة هذا الغزو الثقافي والحضاري"⁵، ما يعني أنه يجب أن نكون انتقائيين ونحن نستقبل منتجات الحداثة الغربية، فليس كلها صالحة للاستهلاك من قبل العقل العربي، إذ علينا أن ننظر إليها بعين الوعي والتفحص، لاسيما في ظل آليات الإغواء التي تمارسها على النقاد والمفكرين العرب، والتي تسعى كلها إلى ضرب الخصوصية العربية على حد رأي عبد الوهاب المسيري، يقول: "إن كل آليات الإغواء التي يستخدمها النظام العالمي الجديد تصب في هدف واحد، هو ضرورة ضرب الخصوصيات القومية والمرجعيات الأخلاقية حتى يفقد الجميع أية خصوصية وأية منظومة قيمية ليصبحوا آلة إنتاجية استهلاكية، لا تكف عن الإنتاج والاستهلاك دون أية تساؤلات"⁶.

إنه لمن الضروري إذا أن نتحلى بنوع من العقلانية النقدية في التعامل مع ثقافة الغير وفكره، وأن نكون أمة وسطا لا تتعلق إلى حد الانطواء، ولا تفتتح إلى حد الانمحاء، فما لا شك فيه أن الانغلاق والاكتفاء بما لدينا يجعلنا أمة تعيش خارج التاريخ، لا تستفيد من الآخر لتطور ذاتها وكيانها، فالعزلة عن ثقافة الغير "تجعلنا نقع فريسة للانغلاق على ثقافة الذات والتشبث بماضيها الفكري والمعرفي، كما تجعلنا أيضا نعيش داخل إطار غير متأثر مع ما يحدث من تغيير أو تطور في آفاق الفكر المعاصر"⁷، ولكن النقل الأعمى أيضا عن الحداثة الغربية "يفتح الطريق أمام التبعية الثقافية ثم يكرسها"⁸.

ولهذا قلنا بأنه من الضروري التحلي بعقلانية نقدية تجعلنا نتفاد الأمرين، فنثبت حضورنا من جهة، ونتجاوز مظهر التبعية للآخر من جهة أخرى، أو كما يقول مهاتما غاندي: "لا أريد لبيتي أن تحيط به الأسوار من كل جانب إلى أن تسد نوافذه، وإنما أريد بيتا تهب عليه بحرية تامة رياح ثقافات الدنيا بأسرها، لكن دون أن تقتلني إحداها من الأرض"⁹؛ أي دون أن تفقدني هويتي وكياني وتقتلني من أصولي المعرفية التي انبثقت منها.

ولكن المشكلة التي تواجهنا ونحن نطالع منجزات النقد العربي المعاصر أننا لا نجد إلا نقلا حرفيا وتقليدا لما عند الآخر الغرب، وقد يكون شعور العربي بالهزيمة*، والضعف سببا في مثل هذا الأمر، فكأنه لا خيار أمامه غير الأخذ بما عند الآخر الغرب، لكي يواكب آخر منجزات الفكر وتطوراته، ويخرج من دائرة الجمود والتخلف التي تحيط به، ولعل هذا الأمر مطلب شرعي من حق كل واحد الظفر به، إذ ليس من المعقول أن نجمد أمام ما حققه الجيل الماضي من منجزات، لاسيما أننا خلفنا في زمن غير الزمن الماضي، فكما ساهم أسلافنا بأفكارهم، من حقنا أيضا المساهمة لصنع تاريخنا ومن حقنا أن نواكب عجلة التطور ونكون ضمنها وإلا حكمنا على أنفسنا بالموت جهلا، فلا يجب أن نبقي محصورين في زمن غير زمننا، بل يجب أن نعيش الزمن الحاضر بكل متطلباته ومستلزماته، على عكس ما يدعو إليه بعض المفكرين المنتمين إلى "ثقافة مشدودة إلى ماضيها، مهووسة بالقياس على فعل الماضي وليس بالانطلاق وراء فعل الاستقبال (حيث إن) مشكلة الماضي تكاد تستغرق إحساسه بالحاضر، وتغلق عليه أبواب المستقبل"¹⁰.

وقولنا هذا لا يعني تعصبنا للتراث؛ بل إننا نحرص على التمسك به والعودة إليه إذا ما لزم الأمر، إذ ليس بإمكان المرء "أن ينسلخ عن تراثه أو ينقطع عن ماضيه وذكريته، في حين أن الماضي هو ما يقودنا إلى ما نحن عليه في حاضرنا، فإما أن نستثمره بصرفه إلى أعمال ومنجزات، وإما أن يتحول إلى عائق يصرفنا عن فهم الواقع وصناعة العالم"¹¹؛ فصحيح أننا نسلم ونؤمن بأنه من الواجب على الحركة الثقافية والفكرية والنقدية العربية أن تنطلق من نقطة جوهرية، وهي "حث التفاعل الإيجابي مع المؤثرات العالمية، مهما كان مصدرها، ونبذ الحساسيات التي يحاول البعض إشاعتها إزاء عملية التلقي هذه، وفرض نوع من الحصار والعزلة على حياتنا الثقافية، فعملية التواصل والتلقي والتمثل عملية شرعية وضرورية على الدوام"¹²، ولكن هذا لا يجب أن يكون على حساب طمس معالم الذات ونفي وجودها ومحو معالم سياقاتها الثقافية والحضارية، فمهما حاولنا أن نكون حدثيين حينئذ، فإن حدثتنا هذه ستكون ناقصة، وقد تكون لا حداثة أصلا، لأنها أفقدتنا هويتنا، وأدابت شخصيتنا بدعوى أن الفكر ذو طابع إنساني لا وجود فيه لثقافة الانتماء إلى جهة بعينها، فالحقيقة التي علينا أن نعيها جيدا هي أنه "لا حداثة بلا أصول ولا حداثة مجلوبة بترجمة أو سرقة أو تقليد أو اقتباس"¹³، بل الحداثة الحقيقية هي تلك التي تنطلق من التراث وتبني عليه، فكما يقول أحمد هيكل: "عدم تأسيس الحداثة على التراث خطأ جسيم، وأكثر خطأ منه وترديا هو بناء الحداثة في قصور الغير أو على أراضي الغير، أو من أجراً ومواد بناء الغير. الفنون لا بد أن تعبر عن شخصية قائلها لأنها نبض وجدانهم وصورة حياتهم وديوان مشاعرهم وأحاسيسهم وقضاياهم"¹⁴.

فهو يرى بأن بناء الحداثة في قصور الغير سيؤدي بنا حتما إلى أن "تضيع شخصيتنا وتصل سمانتنا ولا تعرف هويتنا"¹⁵.

ثانيا: حديث الموت وانعكاساته على الهوية العربية:

لقد كان التمرد على التراث من أهم الدعاوى التي نادى بها أنصار الحداثة، والانسحاق وراء هكذا دعوة من شأنه أن يحقق أهداف المشروع المضمحل المتخفي وراء المشاريع النقدية الغربية، والذي يسعى إلى طمس معالم الشخصية العربية ومحوها كما لو أنها لم تكن من قبل، فكما يقول المسيري، فإن الغرب "يظل مختبئا وراء آليات الإغواء وخطاب السيوالة والنسبية والتعددية، وبهذا المعنى يمكن القول بأن النظام العالمي الجديد هو إمبريالية عصر ما بعد الحداثة، إذ يجد الإنسان نفسه في عالم بلا تاريخ، (...) وينزلق فيه الإنسان من الخصوصية الإنسانية والتاريخية"¹⁶، فيصبح بلا هوية تحفظ وجوده وتصونه من الذوبان في الآخر والإمحاء فيه، وبالحدث عن الهوية فإن من أهم أساليب الإغراء الحداثية القول بلا ثباتها وبصيرورتها وتحولها حسب ما تمليه عليها الظروف والمعطيات المحيطة بها، فالهوية حسب هذا المعتقد ليست "كيانا دائم الثبات، متأبيا على التغيير، معاندا التطور أو التحول، وإنما هي في حركتها التي تسمها بالإيجاب حال متجدد من الحضور العلائقي الذي لا ينغلق على نفسه أو على ثوابته"¹⁷ ونحن لا ننكر بأن جزء كبيرا من هذا الرأي يجانب الصواب والصحة، ولكن إذا فهم من منطلق الانفتاح والتحاور من أجل البناء والتطوير، مع مراعاة كون الهوية من الأشياء الأساسية التي يجب أن تحافظ على جوهرها، ذلك أنها ثابتة من حيث الجوهر، متحولة من حيث قابليتها للتطور وإمكانية تفاعلها وتأثيرها بتغيرات أخرى خارجة عنها، وهكذا فإن الهوية من القيم الثابتة التي لا يجب أن تتغير في جوهرها، ذلك أن "القيم التي تتغير باستمرار ليست بقيم، لأن القيم الإنسانية والأخلاقية لا بد أن تتسم بقدر عال من الثبات، لأنها تستند إلى إنسانيتنا المشتركة، وإن تغيرت، لم تصبح قيما بقدر ما تصبح آليات للتعامل مع ما ينشأ في الواقع"¹⁸.

والواقع أن القول بلا ثبات الهوية لا يخدم الفكر العربي بما يحمله من إرث حضاري وعرقي، بل وحتى ديني والذي لا يمثل في جوهره إلا الشخصية العربية المتميزة عن باقي الحضارات والأمم، لاسيما إذا نظرنا إلى خطاب الهوية، إذ نجده خطابا حافلا بمفردات الغزو والاختراق حين يصف العلاقة بين الثقافة الغربية والهوية الثقافية العربية¹⁹.

ومن هذا المنطلق وحفاظا على الهوية العربية، يجب التصدي لكل العوامل التي تسعى إلى اختراقها ومحوها من الوجود، ولا يكون هذا برفض منجزات الحداثة والتفوق على الذات، لاسيما إذا أمنا بأن "الهوية لا يجب أن تتفصل عن الحضور في العالم من حيث إن هذا الحضور يمثل كنه الحداثة"²⁰، وإنما برسم معالم الحداثة عربية أصيلة، من شأنها أن تمثل حضورنا وتجسد كياننا، وتصنع تميزنا، لأننا "فعلا بحاجة إلى حادثة حقيقية تهز الجمود وتثمر التخلف وتحقق الاستنارة ولكنها يجب أن تكون حداثتنا نحن، وليست نسخة شائنة من الحداثة الغربية"²¹، ولعل سر الأزمة العربية يكمن في هذه النقطة، فنقادنا يتأرجحون بين فريق يدعي الأصالة لحداثة ليست في جوهرها إلا حادثة مجلوبة من عند الآخر الغرب، وبين فريق آخر يتفوق على ذاته رافضا المنجزات الغربية، متمسكا بما هو موجود في التراث، غير مدرك بأن التراث له أهله الذين تركوه، وأنه نقطة لانطلاق جديدة نبني عليها فنضيف أشياء تتماشى والزمن الذي نعيش فيه، منادٍ في الوقت ذاته بضرورة الدفاع عن الهوية والحفاظ عليها، غير مدرك بأن التعامل مع الهوية بمنطق الحراسة والمدافعة لا يزيدنا إلا ضعفا وخسارة لما نحن بصدد الحفاظ عليه، كما يفقدنا في الوقت ذاته حيويتنا الفكرية وقدرتنا على العمل الخلاق، ما يعني أنه يجب التعامل مع الهوية من منطلق ما ننتجه وننجزه²²، وليس من منطلق دفاع عقيم لا يزيد الأمر إلا تعقيدا، فكما يقول علي حرب: "حراسة الأفكار هي مقتلها وانغلاق الهويات علامة على ضعفها"²³.

وهكذا فإن شرط الانفتاح أمر لا مناص منه للحفاظ على الهوية وإنشاء حادثة أصيلة، ذلك أن التفاعل مع الآخر سبيل إلى الإبداع وإلى إنتاج عمل مثمر خلاق يتناسب والمعطيات الراهنة، محافظا في الوقت ذاته على جوهره، ولكن حضور الوعي في التعامل مع منجزات الآخر شرط لازم أيضا، لأنه سبيل إلى معرفة الكثير من الأشياء التي تقود إلى إنتاج الحداثة التي نريد، فضلا عن أنه يجعلنا نميز بين الأشياء التي يجب الأخذ منها كونها تتناسب ومقومات شخصيتنا العربية، وبين الأشياء التي لا تتناسب وذلك، فإنه يجعلنا كذلك، على معرفة بحجم المشكلات التي يواجهها الفكر العربي اليوم، ومعرفة المشكلات سبيل إلى حلها والتخلص منها، يقول سمير حجازي: "حضور الوعي في التعبير اللغوي والفكري في الخطاب النقدي يمكن أن يكون نقطة تحول بارزة في التعرف على جذور المشكلات التي يواجهها نقادنا"²⁴.

من الواضح جدا أن الوعي النقدي عندنا كان غائبا لدرجة أن إقبالنا على الحداثة الغربية كان إقبالا مباشرا دون مسائلة أو بحث يمكننا من استقبال ما يتلاءم وخصوصيتنا ونفي ما يتعارض معها، إذ تبقى مسألة الخصوصية حاضرة دائما عند الحديث عن الأزمة النقدية العربية، وهذا ما يحتم على "المثقفين أو الباحثين أن يكونوا بصيرين عند الانفتاح أو عند الإفادة من الثقافة الحديثة، بالفروق بين الثقافتين من حيث دلالة المفاهيم أو المعايير أو استخدامها في سياق مغاير للسياق الذي قيلت أو استعملت فيه، وأن يكونوا بصيرين أيضا بالجانب أو الموضوع الذي يريدون الإفادة منه، ويحاولوا أن يجدوا جوابا للسؤال: ماذا نريد من الثقافة الحديثة؟"²⁵.

فليس المهم أن نكون حداثيين، بل المهم هو الغاية التي تهدف إليها هذه الحداثة، وما الذي ستحققه لنا، ولعل غفلة نقادنا عن نقطة جوهرية كهذه، ما جعلهم ينقلون نقلا حرفيا، دون إدراك لحقيقة الحداثة، ما أعطى

للآخر الغرب فرصة التفكير بدلا منا وتقرير مصيرنا واتخاذ القرارات عنا، وكل هذا طبعاً بطريقة غير مباشرة، ودون أدنى وعي منا، وعليه فإن تخاذلنا وقعودنا عن العمل الخلاق ومن ثم انبهارنا بما عند الآخر الغرب أتاح له كل الفرص لاحتوائنا فيه، يقول علي حرب: "من يفكر بصورة منتجة ليس هو الذي يقوم بحراسة هويته وأفكاره، بل هو الذي يحيل وطنه إلى أرض لانزراع الأفكار الخصبية أو لولادة المفاهيم الخارقة، من غير ذلك، نترك للآخر الذي نشكو من هيمنته وغزوه أن يفكر عنه وعنا، وأن يمارس المزيد من الهيمنة على عقولنا والغزو لثقافتنا"²⁶، وهكذا سنفقد إحساسنا بانتمائنا وعروبتنا، لاسيما في ظل وجود تيارات فكرية تنادي بضرورة طمس التراث الحضاري للأمة العربية والانفتاح على ما عند الآخر بدعوى حداثيته، ومن ثم الاندماج فيه من منظور إنسانية الفكر والمعرفة.

هذا ما نريد أن نسميه تيار الموت في الثقافة العربية، فكأن هنالك تياراً فكرياً يهدف إلى قتل هذه الثقافة ببطء عن طريق أبناء هذه الثقافة نفسها الذين انجذبوا وراء هذا التيار بدعوى الحداثة، ولعل من أهم مظاهر هذا الموت هو ذلك التحول اللامشروط الذي يقوم على إلغاء الماضي وإشاعة أفكار من مثل عالمية الفكر وإنسانيته وتلاقح الثقافات وغيرها من الشعارات التي يكشف المسكوت عنه فيها إلى محاولة إلغاء الشخصية العربية بكل مقوماتها وخصوصياتها، مادام أن مركز القوة هو الغرب لا الشرق... إذ إنه من الطبيعي أن تذوب الأطراف الضعيفة في الأطراف المسيطرة، رغم أن العملية في ظاهرها لا تبدو عملية ذوبان وامتحاء، إذ هي دعوة إلى التوحد والتكامل.

والحقيقة أنه لا يمكن تحقيق وحدة شاملة لكل التصورات والرؤى، إذ إن الوحدة في التنوع والاختلاف، ومن ثم الائتلاف، فكما يرى عبد الملك بومنجل، فإن هذا هو القانون الذي أودعه الله فينا ومنه تنشط حركة الحياة مشكلة علاقات حيوية ضاربة في كل اتجاه²⁷، ولعل المقصود هنا أنه لا ضير في إقامة علاقات بين الثقافات ولا ضير في تبادل التصورات والرؤى، والاستفادة منها ومن التطوير انطلاقاً من تحاورها معها، إذ إنه من السذاجة بمكان أن يحصل التطور في ظل العزلة والتفوق..

ولكن المشكلة التي نعاني منها هي أنه لا وجود لحوار ثقافات، وإن كان الظاهر يوحي بهذا، بل إن ما هو موجود فعلاً هو (اقتتال ثقافات) على حسب وليد مشوح الذي يقول: "أجل نحن أمام منطلق جديد فيه لهجة تهديدية توعدية تحت عنوان هادئ هو (الحوار) بينما غاياته الكبرى تكمن في صراع الثقافات أو اقتتالها والبقاء للأقوى اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً"²⁸.

وهذا عينه ما ذهب إليه عبد الله إبراهيم حين حديثه عن حال الثقافة العربية وكيف تقاطعت فيها التصورات والرؤى مؤكداً أن هذا التقاطع لا يأخذ "شكل تفاعل وحوار، إنما يمثل لمعادلة الإقصاء والاستبعاد من جهة، والاستحواذ السلبي والتكسر والتخفي من جهة ثانية"²⁹، ولا بد أن السبب وراء ذلك هو المشروع المضمحل الذي تهدف إليه القوى الغربية من خلال المناهج والمشاريع الفكرية التي تبندعها، وكذا ضعف الثقافة العربية واقتقادها للوعي في مواجهة الثقافات الأخرى، ما جعلها ثقافة منفصلة لا تتحاور لتتفاعل، وإنما تتحاور لتنفصل بناء على أهداف تسعى إليها أطراف خفية في محاولة لتوجيه فكرها بما يخدم مصالحها وغاياتها، وهنا نؤكد على أن "تداخل الثقافات وتحاوراتها وتفاعلاتها أمر مهم وأساسي في تشكيل الوعي النقدي، لكن الأمر الذي يختلف حوله كثيرون هو تحويل ذلك الموجه إلى إيديولوجيا تمارس دورها في ترتيب شؤون الفكر وتوصلاته"³⁰، فالحوار لازمة من لوازم الحياة وضرورة من ضروراتها لا تستقيم إلا بها، ولكنه كذلك إذا كان هنالك توازن بين أطرافه، كل طرف يدلي بدلوه ويعطي ما عنده للطرف الآخر، لتخرج بذلك ثمرة إيجابية من ثمار هذا الحوار تحمل خصائص الطرفين، صناعة بهذه الميزة فرادتها وتميزها، فكما يقول جابر عصفور فإن "الحوار يتم بين تيارات متعينة، متقاربة فكرياً أولاً، أو باحثاً عن هدف مشترك ثانياً، وتمتلك برنامجاً عملياً للحوار تتقدم به ثالثاً"³¹، وهكذا، فالحوار ينتقل من شقه الإيجابي إلى شقه السلبي إذا أقصي دور أحد الطرفين لصالح الطرف الآخر بحيث يصير الحال كما لو أن طرفاً يأمر ويسير والآخر يستجيب ويتبع دونما محاولة للتغيير والتجاوز... وهذا هو حال الثقافة العربية اليوم، فحوارها مع الثقافات الأخرى عقيم لا يزيدها إلا ضراً، ما يؤكد مرة أخرى أن المقصود بحوار الثقافات إنما هو "ممارسة الفعل المنافي للوجود القومي، أو التلاقح البهيمي المنعزل أو المجافي لأي شرعة أو عقيدة"³².

وقد لا نبالغ لو قلنا إنه يمكن الحديث عن هذه المسألة ضمن إطار عام نطلق عليه جدلية الحياة والموت، فالضعيف هنا يموت تدريجياً لصالح حياة الأقوى..

ورغم أن حديث الموت وحديث النهايات قد شاع في عصرنا هذا لدرجة انتهى فيها كل شيء، إلا أننا لا نقصد بحديث الموت تلك التيارات المنادية بنهاية الإنسان والتاريخ ونهاية المثقف والإيديولوجيا والسياسة.. الخ³³

وما هذه الأفكار التي وقفنا عليها إلا لنؤكد أن هنالك اتجاهاً معادياً يضم نوايا تتمثل في محو معالم الشخصية العربية بكل مقوماتها وكيونيتها، والذي نقصده بحديث الموت أن هنالك تياراً داخل الكيان العربي قد تفاعل مع هذه النوايا وراح يخدم مصالحها بشكل أو بآخر، منجرفاً وراء الحداثة الغربية التي تمثل وجهاً من أوجه المركزية

الأوروبية، ما حدا بهذا التيار إلى اتباع كل التصورات والمنهجيات المنبثقة من هذه الحداثة رغم اختلاف منابقتها عن منابت الثقافة العربية، لتنشأ بذلك نقطة صدام بين هذه الرؤى وبين الرؤى السائدة عندنا، وفي هذه النقطة بالذات يمكن الحديث عن جدلية الحياة والموت، فاتباع الرؤى والتصورات الحداثية الغربية، هو إعلان عن حياتها وعن موت الرؤى والتصورات العربية التي صار ينظر إليها على أنها علامة تراثية بالية تستحق الموت في ظل التحول الذي يشهده العالم.

لذا فإنه لم يعد غريبا أن نسمع الحديث حول نهاية الأجناس الأدبية وتداخلها، ثم نهاية الأدب ونهاية النقد الأدبي، ولم لا نهاية الثقافة³⁴ دفعة واحدة، وقد يقول قائل إن هذه الأفكار شاعت عند الغرب كما شاعت عندنا نحن، فكيف لنا أن نقول أن هنالك تيارا يهدف إلى طمس معالم الحضارة العربية بالذات؟.

ننبه مرة أخرى للإجابة عن هذا السؤال على اختلاف واقع الثقافتين الغربية والعربية وأن هناك قيما تصلح لثقافة ولا تصلح لأخرى، في الوقت الذي توجد فيه قيم داخل الثقافة الواحدة تصلح لكل زمان ومكان، ولا يمكن أن نتحدث عنها إلا في إطار التحول والتغير، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالماهية والمفهوم، لذا فإنه من الصعب الحديث عن نهاية هذه القيم، لأن الحديث عن ذلك يمس جانبا من كينونة الشخصية العربية، فكما يقول عبد الملك بومنجل مجيبا عن سؤاله حول تداخل الأنواع الأدبية في القصيدة العربية أهو ثراء أم هجنة: "هو ثراء بلا شك، حين تحترم في الشعر شعريته وتحفظ شروطه وتراعى أصوله"³⁴، ما يعني أن هنالك جوهرًا ثابتًا لا يمكن أن تطاله ريح التغيير لأنها إن مسته قضت عليه.

إن حديث النهايات الذي شاع مؤخرا على مستوى الساحة الأدبية والنقدية العربية، واحد من المؤشرات الدالة على نشاط تيار الموت الذي تحدثنا عنه، والذي يعني أن هنالك ثقافة تريد أن تقضي على الثقافة العربية هي ما أسميناها "ثقافة الموت" التي تعمل تدريجيا على إلغاء كل الأشياء التي هي من صميم جوهر الثقافة العربية، ذلك أن مصطلح النهاية في دلالاته يعني حصول تحول جوهري كامل، أو هو -إن صح التعبير- مصطلح ينتمي إلى مجموعة المصطلحات التي تصف بعض جوانب منظومة الحداثة الغربية والتي تعني انتهاء شيء ما والقضاء عليه، هذا الذي يكون في غالب الأحيان الجوهر الإنساني لا غير³⁵، أو الهوية الإنسانية، وقد تتضح هذه الفكرة أكثر حين الحديث عن فكرة نهاية التاريخ والتي تعني "نهاية التاريخ الإنساني، بكل ما فيها من مأساة وملهاة وانتصار وإخفاق"³⁶، أي أن التاريخ سيصل إلى نقطة ثابتة تنوب فيها كل صراعات العالم وتتمحي، فلا يمكن لأحد أن يتحدث عن ماضيه أو حاضره، فالتاريخ منته والعالم كله يسير بثبات وفق معالم تحدها المنظومة الأقوى طبعًا.

ومما لا شك فيه أن هذه الفكرة لن تخدم الثقافة العربية في شيء بما تحمله من إرث حضاري وتاريخ إسلامي ضارب في القدم، ويتمتع بنوع من التقديس والتميز، وإن كان هناك من ينكر هذا التميز على الحضارة العربية، وسنشير في هذا الصدد إلى فكرة جميلة تنبئ إليها المسيري تتعلق بهذا الموضوع تحديداً، إذ إنه يرى بأن التاريخ هو الشيء الذي يكفل حقوقنا ويحفظها، وهكذا فإن القول بهذه الفكرة سوف يخدم الرؤية الصهيونية، ولكنه لن يخدم الفلسطينيين في شيء، هذه الرؤية التي تسعى إلى نفي التاريخ العربي، ومع أنها تنفي تاريخ اليهود أيضا فإن مثل هذا الأمر لن يضرهم في شيء فما من تاريخ لليهود يستحق الاحترام حتى يؤكدوا على وجوده وإثباته، ومن ثم فإن القول بنهاية التاريخ عند اليهود يؤكد أن وجودهم في الشتات والعدم هو وجود لا معنى له³⁷، فاليهود بتبنيهم فكرة نهاية التاريخ يحون تاريخهم الأسود بما يحمله من تشتت وضياع، وفقدان للهوية، غير أن تبنيها نحن العرب- لهذه الفكرة لن يكون في صالحنا، لأنه سبيل لضياح تاريخنا العريق، ونسيان هويتنا، ذلك أن فكرة "نهاية التاريخ وما بعد الحداثة يشتركان معا في أنهما يقومان على رفض أي احتمال للتجاوز أو الإصلاح، فهما يدعوان إلى السلبية، وهذه استراتيجية مثالية للغرب المتهاوي، حيث يطلب إلى الجميع مسح ذاكرتهم التاريخية، ونسيان هويتهم لكي يصبح الكائن البشري إنسانا اقتصاديا وجسمانيا"³⁸

إن القول بنهاية التاريخ ينفي كل تاريخ إنساني أو هوية قومية، فهو دعوة إلى التكتل والعالمية، فلا وجود لتاريخ عربي أو أمريكي أو يهودي، إنه دعوة إلى توحيد كل الرؤى والاتجاهات ضمن نظام واحد، لا بد أن يكون النظام الذي تحدده الأطراف الغالبة لا الأطراف المغلوبة، ولا بد حينها أن تضيق الهوية العربية بما تحمله من إرث عربي إسلامي، كما لو أنها لم توجد، مع أنه ما من منكر لفضل العرب الكبير في بناء صرح الفكر الإنساني وبلورة معالمه واتجاهاته.

ثالثا: موت الأدب: حقيقة أم خيال؟

إن الملاحظ للتيارات الفكرية الحداثية يجد بأنها ذات طابع هجومي جاء ليقضي على كل جوهر وأصيل في الثقافة العربية، هذه الأخيرة التي جاءت صيحات الحداثة معادية لها بالدرجة الأولى، مقارنة بالثقافة الغربية، ولعل فكرة الموت والزوال وحديث النهايات خير دليل على ما نقول، فكما قلنا من قبل فإن هذا يعني تحول العالم إلى نظام واحد، ومثلما وجدنا هذه الفكرة حين الحديث عن نهاية التاريخ، فإننا نجدنا حين الحديث عن موت الأدب، فالقول

بموت الأدب يعني إزاحة الحدود بين الحقول المعرفية حتى تشهد عصر التداخل المعرفي والتشابك الثقافي، فلا يصبح هنالك ثقافات متعددة، وإنما ثقافة واحدة هي التي يسير وفقها كل العالم، وهكذا فإن النظرية الأدبية ستشهد نعيها بعد هذه الدعوة إلى صهر الحدود، إذ صارت الأولوية هي اعتماد النظريات التي تتعامل مع الأنواع المتعددة للخطاب وليس النظريات التي تتعامل مع الأدب وحسب³⁹.

ومما لا شك فيه فإن القول بموت الأدب العربي هو القول بموت إرث حضاري عريق وضارب في القدم، يمثل واحدا من أهم الجوانب المكونة للشخصية العربية، لاسيما إذا تتبعنا مكانة الأدب والشعر في الحضارة ومساهمتهما في بنائها وبلورة معالمها، فقولنا بموت الأدب في الحضارة الغربية ليس نفسه في الحضارة العربية، وهذا إذا تتبعنا حضوره وموقعه في كلا الحضارتين.

إن الحديث عن الأدب العربي يعني الحديث عن فن لازم العربي القديم في كل أوقاته، ولعلنا نخص الشعر بذلك دون النثر للمكانة التي شغلها في نفوس العرب، حيث إنهم لم يبرعوا في شيء مثلما برعوا في نسج خيوط القريض والتفنن في أساليبهم، وحفظ تاريخهم من خلاله، فليس ريبا حينها أن يقولوا بأن الشعر قد كان ديوان العرب ضم مآثرهم وعاداتهم وأخلاقهم...، إذ إنه لم يكن مجرد تعبير عن حالة شعورية طارئة، ولكنه أعمق من ذلك بكثير إذ استطاع بالفعل أن يعبر عن عقلية الإنسان العربي ويكشف عن مستوى تفكيره، هذا وقد رافق الأدب المثقف العربي اليوم في كل انشغالاته، فهو لم يحفظ تاريخ أمة كانت تفتقر إلى الكتابة فوجدت الشعر ملاذا لحفظ مآثرها من خلاله، بل عبر من خلاله الإنسان الحديث والمعاصر عن آماله في النهوض وحاول أن يشد به الهمم عليه يستعيد مجد الأمة الضائع في وقت تضاربت فيه الأهواء والتيارات، فهل من العدل المناداة بموت هذا الأدب بما يحتله من مكانة تجعله يتصدر القائمة على رأس الهرم الثقافي العربي؟

ولو نعود إلى فكرة موت الأدب فإننا نجدنا منبثقة من عند الآخر الغرب، ولعل من أهم الداعين إليها والمهتمين بها تيري إجلتون، الذي يؤكد في كتابه الشهير "مقدمة في نظرية الأدب"، بأنه لا يعترف بوجود الأدب أصلا، فيقول: "بدأت هذا الكتاب بالجدال بأن الأدب لا وجود له، فكيف يمكن في هذه الحالة أن توجد نظرية الأدب بدورها"⁴⁰.

وقد سبق هذا الإعلان الكثير من التهكمات والهجوم على الأدب حين الإشارة إليه بأنه خطاب غير نفعي، وأنه خال من أي جوهر فلا يمكن أن ننظر إليه إلا على أساس أنه نوع شكلي محض وفارغ من أي تعريف⁴¹.

إن هذه النظرة الضيقة للأدب هي السبب في محاولة قتله وإعلان موته، والحقيقة هي أن الأدب عالم له قوانينه وشروطه وغاياته التي تخرج عن ذاته ونطاقه لتحقق قيمة أخلاقية ونفعية للمجتمع، فالأدب بما هو لغة يمكن أن يحوي زخما كبيرا من جملة المعارف والتصورات التي تمثل اللغة الأساس الأول في وجودها وتمثلها ومن ثمة فإنه من غير المنصف حصر وظيفته في جانبه الشكلي الإمتاعي، فالأدب "نتاج إنساني على نحو كامل"⁴² ومن شأنه أن يتولى إدارة أمور شتى في حياة الإنسان وأن يعود بالنفع عليه.

إن الأدب من شأنه أن يتناول موضوعات شتى في حياة الإنسان لا يمكن معرفة حدودها مادام أن ذلك يتوقف على الإنسان ذاته وقدراته ونطاق إبداعاته وتصورات، فالأدب كما يرى ميخائيل نعيمة محوره الإنسان، يقول في ذلك: "بين كل المسارات التي تنقلب عليها مشاهد الحياة، ليس كالأدب مسرحا يظهر عليه الإنسان بكل مظاهره الروحية والجسدية"⁴³، ومن ثم بات لزاما على هذا الأدب أن يكون لصيقا بتجربة شعورية يعيشها هذا الإنسان حتى يتمكن من صياغتها في قالب أدبي يحمل من الجمال والمتعة ما يحمل من الخبرة والفكر العميق، إذ إنه من أهم تعريفات الأدب أنه "التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية"⁴⁴ وفي هذا يقول ريتشارد هوجارت مجيبا عن سؤاله حول سبب تقديره للأدب، يقول: "إنني أقدر الأدب لطريقته الغربية التي يرتاد بها التجربة الإنسانية ويعيد تكوينها، وبيحث فيها عن معنى، أقدره لأنه يرتاد تنوع هذه التجربة وتعقيدها وغرابتها (...). أقدر الأدب لأن الناس ينظرون من خلاله إلى الحياة بكل ما يملكون من ضعف وأمانة وتعمق، ويضعون فيه أوامهم على نحو درامي وذلك عن طريق صلتهم الفريدة باللغة"⁴⁵.

وهكذا فالأدب لا يمكن أن يكون خطابا غير نفعي، أو مجرد خطاب إمتاعي، على العكس من ذلك، فلو نتساءل عن مصدر تلك المتعة، فلا بد أن يكون مقدار المنفعة التي نجنيها من وراء قراءتنا له، إذ إن "المتعة واللذة اللذين نتحدث عنهما في الأدب مصدرهما تلك الأشياء التي نجدنا في العمل الأدبي، والتي لها أهمية إنسانية، فبمقدار ما يكون لهذه الأشياء من أهمية يكون إمتاعها ونفعها لنا (...). إن الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة، وهنا نقول أن هذه الصلة الوطيدة بين الأدب والحياة هي السر في ما يتضمن من متعة ومنفعة"⁴⁶.

ولو نتأمل هذه العبارة قليلا فسنجد أن وظيفة الأدب لا تقتصر على مجرد التعبير عن الحياة أو نقلها إلينا نقلا حرفيا، وإنما له مهمة أكبر من ذلك تتعلق بنقد الأديب لهذه الحياة ومحاولة فهمها وإيجاد الحلول للمشاكل التي قد تكون فيها من خلال التعبير عن تجاربه الشخصية⁴⁷.

نريد من خلال ما ذكرناه أن نقول بأن الأدب ملتصق بالتجربة الإنسانية وأنه سيبقى ما بقي الإنسان يعيش التجارب ويرتادها.. ولا ينفي قولنا هذا ما ذكرناه سابقا حول ارتباط الأدب بشئى الموضوعات والمضامين، لاسيما وأن التجربة الشعورية للإنسان ليست حكرا على جانب معين، بل يمكن أن تشمل على أي موضوع من موضوعات الحياة، يقول سيد قطب: "ليست غاية العمل الأدبي إذن أن يعطينا حقائق عقلية ولا قضايا فلسفية ولا شيئا من هذا القبيل، كما أنه ليس من غايته أن يحقق لنا أغراضا أخرى تجعله محصورا في نطاقها منصبا في قولها (...). ذلك إلا أن يصبح أحد هذه الموضوعات تجربة شعورية خاصة للأديب"⁴⁸.

إن تجارب الإنسان من شأنها أن ترتاد شئى موضوعات الحياة وأكثرها تعقيدا و هذا دفع بكثير من النقاد والدارسين إلى القول بأن الأدب يملك بعدا اجتماعيا وليس محصورا في بعده الجمالي فقط، وأنه محصول لروح العصر والروح الوطنية، فها هو تودوروف يقول بأن الأدب: "يوسع من عالمنا ويحتمل على تخيل طرائق أخرى لتصوره وتنظيمه (...). الأدب يفتح إلى اللانهاية إمكانية من التفاعل مع الآخرين وهو إذن يثيرنا لا نهائيا"⁴⁹، وهو في هذا يؤكد على عدم اقتضاره على الجانب الجمالي فيقول: "ما أبعد عن أن يكون مجرد متعة وتلهية محجوزة للأشخاص المتعلمين إنه يتيح لكل واحد أن يستجيب لقدرته في الوجود إنسانا"، وليس أدل من هذه العبارة على أن الأدب لصيق بتجارب الإنسان على تنوعها وتنوع مصادرها، ومادام كذلك فإنه ليس مجرد تعابير شكلية همها تسلية النفس وجلب المتعة لها، بل هو أكبر من ذلك بكثير، ومع أننا لا ننكر الجانب الجمالي للأدب إلا أن الأدب من شأنه أن يهذب سلوكات الإنسان ويقومها ويجلب النفع له في شتى ميادين الحياة، ومن ثم فإنه ليس من السهل إعلان موته بالسهولة التي قد يتصورها أعداؤه، فكما يقول مهدي إمبيرش: "إن الأدب الذي يستمر هو الأدب الذي يكتب معنى الأدبية، أو ذلك الذي يكرس القيم الأخلاقية التي هي فوق حدود المكان والزمان"⁵⁰.

معنى ذلك أن الأدب بما هو خطاب جمالي ونفعي في الوقت ذاته لا يمكن أن تطاله الموت، ولن يكون ذلك إلا بفناء كائن اسمه الإنسان، هو الذي ينتج هذا الأدب ويحيا به، ولقد أكد تودوروف صحة هذه العبارة الأخيرة حين قال: "لو ساءلت نفسي اليوم لماذا أحب الأدب، فالجواب الذي يتبادر عفويا إلى ذهني: هو لأنه يعينني على أن أحيأ"⁵¹، فكيف لشئ يعين على الحياة أن يموت؟.

ونحن لا يهمنا إذا ما دعا الغرب إلى موت الأدب، لأن الحداثة الغربية في حقيقتها قد جاءت بعد تواصل حلقات الفكر الغربي، بمعنى أنها استمدت كل مقولاتها من لدن الثقافة الغربية، وهذا سيني في إمكانية إحداث أي شرح من شأنه أن يقطع تواصل السابق باللاحق في هته الحداثة، على العكس من ذلك إذا ما تعلق الأمر بالأدب العربي، فالقول بموته لا يعني مجرد القول بفناء فن قولي أو تشابكه مع جملة المعارف في إطار عام هو العولمة، وإنما هو قول بموت تاريخ، وفكر، وهوية، إنه القول بموت العرب والكيان العربي وانصهاره في كيان عالمي تمثله القوى الغالبة حتما، يقول أنور الجندي: "من هنا كان الاختلاف والتباين بين أدب أمة وأدب أمة أخرى، ومن هنا كان الأدب أدب أمة وأدب لغة لأنه يستمد وجوده من مشاعر هذه الأمة وطوابعها الروحية والعقلية والنفسية، ويستمد وجوده من اللغة التي يكتب بها، ولكل لغة مفاهيمها وتاريخها ومعاني كلماتها وخصائصها الذاتية، والأدب الأصيل عالمي بطبعه من حيث نزعه الإنسانية، لا من حيث انصهاره في نموذج واحد، والطابع الإنساني للأدب لا يخرج عن ذاتيته كأدب أمة خاصة، ولا يدمجه في غيره من الأدب تحت ما يسمى عالمية الأدب"⁵²، بمعنى أن خصوصية أي أدب النابعة من خصوصية لغته وأمته ستقف حائلا أمام أي دعوة لانصهار المعارف، فكل أدبه ولكل كيانه وتفكيره الذي لا بد سينتقل مع كيان وتفكير الآخرين.

لقد كانت هذه إشارة بسيطة أردنا من خلالها أن نتلمس بعضا من النوايا المتخفية وراء المشاريع الفكرية المعاصرة الداعية في ظاهرها إلى إرساء قواعد من شأنها بناء مجتمع إنساني متكامل، وكما ذكرنا من قبل فإن الدعوة إلى موت الأدب قد تلتها فيما بعد عدة دعوات أخرى ليست في حقيقتها إلا تكريسا واضحا لفكرة الموت التي جاءت لتقضي على كل جوهر وأصيل في الثقافة العربية كالدعوة إلى موت النقد الأدبي ونهاية الأجناس الأدبية، وغيرها من الدعاوى التي لن تقضي بنا في نهاية المطاف إلا إلى انحلال المجتمع العربي واضمحلال قيمه وموروثاته وذوبانه في الآخر الغرب كما لو أنه لم يكن يوما..

وإن وجدت هذه المشاريع النقدية والفكرية صداها في البيئة الغربية، فإنه من المستبعد أن تتلاءم والبيئة العربية وطابعها الثقافي الذي يحكمها، وهذا الأمر -ومثلما أشرنا من قبل- عائد في حقيقته إلى المنابت الحقيقية والمناخ الفكري الذي ولدت فيه هذه المشاريع، فالمناخ الفكري والثقافي العربي يختلف تماما عن مناخنا الفكري، فإن كان الفكر الغربي في حقيقته متشعبا بالفلسفية، فإن فكرنا العربي متشعب بالشعرية، وهذه نقطة جوهرية من شأنها أن تحدث الفرق في نمطية التفكير، ما يعني أنه إن كان واقع الحضارة الغربية قابلا للدعوة إلى موت الأدب والأجناس والنقد الأدبي، فإن واقع حضارتنا لا يمكن أن يتقبل فكرة كهذه من شأنها أن تقضي على أهم مقومات شخصيتنا العربية.

أليس في هذه الدعاوى المبنية على فكرة الموت.. دعوة مبطنة من شأنها القضاء على الهوية العربية، والقضاء على هويتنا يعني القضاء على قدرتنا على الخلق والإبداع، فالهوية في حقيقتها تعني "الخصوصية والتميز عن الغير"⁵³، والخصوصية هي ما يمنحنا المقدرة على الإنتاج، إنتاج شيء يطبع في طبيعته فكرنا وذاتنا، ويصنع لنا تميزنا كذوات من حقها أن تساهم في بناء صرح الفكر الإنساني، فالمجتمع المنتج "هو ذلك المجتمع الذي يملك الفكر والثقافة الذاتيين، والقيم والمعتقدات والفنون المستقلة والوعي الديني والتجربة التاريخية الحيوية التي تفرج فيه إرادة الإنتاج المادي والحضاري"⁵⁴، فكيف لنا أن ننتج وكل فنوننا ومعتقداتنا مستوردة من عند الآخر الغرب، هذا الذي منحناه فرصة التفكير بدلا منا وتقرير القرارات المصيرية بشأننا، مع أن واقع الحال ينبئ بأننا بإزاء مواجهة استعمار فكري يريد "تدمير تلك الذوات الثقافية والتاريخية التي تمنح الأمم شخصيتها المستقلة (الانا)، حتى ينشأ ذلك الجيل التابع الذي لا شخصية له ولا أصالة ولا قيمة، فلا يجد مفرا أمامه من التقرب والتظاهر والتقليد لتعويض نفسه نفسيا"⁵⁵.

إن فكرة الشعور بالنقص والرغبة في محاولة اللحاق بركب الحضارة الغربية ما دفع نخبة من المفكرين المعاصرين العرب إلى اتباع المشاريع الفكرية الغربية، ظنا منهم بأنهم يسايرون الحداثة والتطور، متناسين في الوقت ذاته بأن التبعية العمياء والانجراف اللاواعي وراء المنجزات الغربية لا يزيدنا إلا تخلفا لأنه في حقيقته لا يمثل ولو جزء يسيرا من شخصيتنا ولا يخدم مقوماتنا وعروبتنا، وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب أزمة الفكر العربي المعاصر: "علينا في مستهل القرن الواحد والعشرين أن نأخذ مكانتنا الفكرية القائدة ولا نرضى بالتبعية الفكرية، هذه التبعية التي كلفتنا وتكلفنا الكثير من تخريب لفكرنا..."⁵⁶

ليس هنالك شك في أن الخطابات الحداثية المنبثقة من رحم الفكر الغربي من الإغراء بحيث توهم متلقيها العربي بأنه حدثي يواكب العصرنة والتطور، وأنه ونظيره الغربي متساويان، لاسيما وأن هذه الخطابات جاءت في مجموعها منادية بعالمية الفكر، متخفية وراء شعارات من قبيل العولمة، هذه الأخيرة التي "لا يمكن أن تكون حلا مرضيا لأزمة الحداثة"⁵⁷، فإن كانت العولمة في ظاهرها تعني "التحرر من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا"⁵⁸ فإنها في حقيقتها ليست إلا تكريسا للمنتجات الغربية المادية منها والفكرية وجعلها مستهلكا على الأمم المغلوبة استهلاكاً دون وعي أو إرادة مادامت أمما لا تنتج ولا تبدع، فمن البديهي أن الثقافة العالمية التي لا بد أن يتساوى فيها جميع الشعوب هي ثقافة الأمم المنتجة والمبدعة، وهكذا فإن كل ما عدا هذه الثقافة عليه أن يذوب تدريجياً.. فلا موقع له ولا حضور ضمن هذه الثقافة العالمية.. لاسيما في ظل الاختلاف الواضح في العادات والأعراف وحتى المعتقدات الدينية المقدسة، كما أن فكرة تحقيق ثقافة عالمية موحدة لا يمكن أن تتجسد على أرض الواقع لأن قانون الاختلاف هو القانون الذي أودعه الله فينا والذي يمنح الحياة قيمة البقاء والاستمرارية، فعلى كل واحد فينا أن يسعى للحفاظ على ثقافته، لا أن يحاول طمسها من خلال الجري وراء المنجزات الغربية، فكما يقول محمد عابد الجابري: "ليس هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام، وإنما وجدت، وتوجد وستوجد، ثقافات متنوعة متعددة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل إرادي من أهلها، للحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة"⁵⁹.

غير أن ما نشهده اليوم ليس حفاظاً على ثقافتنا وموروثنا بل إنه لا يعدو أن يكون مجرد نقل حرفي وتكريس لما هو موجود عند الآخر الغرب وتطبيقه على قيمنا وفكرنا، الأمر الذي لن يكون في صالحنا، لاسيما إذا أمنا بأن فكرة العولمة الثقافية تتعلق أساساً بتبني أفكار الثقافة والحضارة الأقوى تكنولوجياً، واختراق الثقافات والمجتمعات والحضارات الأضعف تكنولوجياً، والعمل تدريجياً على تهميشها ومن ثم إلغائها، من خلال زرع أفكار وقيم جديدة تخدم مصالحها، وأهدافها المتمثلة أساساً في إلغاء الآخر، ذلك أنه في كل النظريات والأفكار الجديدة، نجد أن محور الحضارة الغربية يقوم على فكرة الصراع والإلغاء الآخر⁶⁰، فإذا انجرفنا نحن وراء هذه الرغبة قضينا على هويتنا دون أن نشعر.. وسينشأ فيما سيأتي جيل غريب عن ماضيه منسلخ عن موروثه، تائه ضمن حضارة لا ولن تكون حضارته.

إنه لمن الضروري جداً أن يعي المثقف العربي اليوم حقيقة الأزمة الفكرية التي يعيشها، ومرارة واقعه الفكري الذي يتخبط في المشكلات والأزمات، فالمثقف العربي اليوم ليس مهتداً عسكرياً وسياسياً فقط، بل إنه كذلك مهتد فكرياً، وهو بحاجة ماسة إلى الأمن الفكري الذي يحميه من مظهر التبعية، ويحمي موروثه ونتاجه الثقافي من الامحاء والذوبان، ولن يكون ذلك إلا من خلال تحقيق التوازن بيننا وبين الآخر الغرب فيما يتعلق بالإنتاج والإبداع، فليس علينا إلا أن ننتج ونبدع بعيداً عما يفعله، صحيح أنه علينا الاستفادة مما حققه وأنجزه من مشاريع فكرية وغيرها، ولكن ذلك لا يجب أن يتعدى حدود الاستفادة من الأشياء التي لن تمس عقيدتنا ولن تؤثر على سلوكياتنا، والتي لا تهدد كياننا ووجودنا.

إن استفاقة العربي من غفوته الثقافية والفكرية هذه هي السبيل الوحيد الذي قد يجعله إنساناً معاصراً وفاعلاً منتجاً، لا مجرد مستهلك تابع، ولعله من الضروري جداً الإشارة إلى فكرة طمس التراث، هذه الأخيرة التي أثارنا جدلاً كبيراً بين داع إليها ومعارض لها، إذ إننا نرى بأن طمس التراث أمر من شأنه أن يجعل حداثتنا مشوهة تفتقر

إلى ما يصلها بمنابيتها الحقيقية التي انبثقت منها، ذلك أن إرساء الحداثة على التراث من شأنه أن يجعل حلقات فكرنا متصلة بعضها ببعض، ما يمنحه شرعية الوجود والبقاء، فكما يقول نعيم اليافي فإن "الطريق الوحيد للوصول إلى منهج فكري موحد يحدد شخصيتنا، ويجعلنا نصمد إزاء المخططات الفكرية المشبوهة أن نبدأ بفحص تراثنا لنأخذ منه ما بقي حيا يرزق ونترك ما عده، ثم نفتح على الحضارة الإنسانية نتفاعل معها ونتأثر بها (...). ثم نعود إلى واقعنا نبحث في ضروراته واحتياجاته وبغير هذه العملية المثلثة والمعقدة (الصالح من التراث+ الموافق من الغرب+ الضروري للواقع) لا يمكن أن نصل إلى إقامة منهج فكري متماسك يجعلنا عربا ومعاصرين في آن⁶¹، ولعل هذا المقطع المقدم، يلخص باختصار ما نريد الوصول إليه، والذي يجسد رغبتنا في وجود حداثة عربية أصيلة لا تتصلص من الماضي ولا تعادي القيم الثابتة التي هي من جوهر الثقافة العربية، تسائر الحاضر وتأخذ من الآخر، تؤثر فيه وتتأثر به، وتساهم معه جنباً إلى جنب في بناء صرح الفكر الإنساني.

وهكذا، فإن كانت دعاوى الموت وحديث النهايات الذي يشيع مؤخراً بين النقاد والمفكرين العرب نابعة من صميم ثقافتنا العربية خادمة لمصالحها، لا تنتكر لأصولها ومنابتنا فإننا سنكون من أوائل الداعين إليها والمؤسسين لها، ودون ذلك فإننا لا نريد لثقافتنا إلا أن تحافظ على كيانها ووجودها وثوابتها الموروثة جيلاً عن جيل، وأن تؤسس لحداثتها انطلاقاً من هذه الثوابت ذاتها بعيداً عن كل مجلوب مستورد من شأنه أن يشوه حداثتنا ويطبعها بطابع التبعية والامحاء في الآخر الغرب.

II خاتمة:

عرضنا في هذا البحث إلى شيء من الدرس النقدي حول فكرة الموت التي شاعت كثيراً على مستوى الساحة الفكرية والنقدية في الآونة الأخيرة، والتي حمل لواءها جملة من النقاد الغربيين المعاصرين، ليتبناها كذلك بعض النقاد العرب المنبهرين بمنجزات الحداثة، محاولين إسقاطها على المنجزات الفكرية العربية، زاعمين بذلك اللحاق بركب الحضارة ومواكبة تطورات العصر، متناسين حجم الفروق بين الثقافتين، والتي ستجعل أي محاولة لاتباع الغرب اتباعاً أعمى، ستجعل منها عملية ذوبان كلي وشامل من شأنه القضاء على مقومات الحضارة العربية.

لقد خصصنا بالتركيز الحديث عن فكرة موت الأدب، باعتباره يحتل مكانة مميزة في الموروث العربي، فقد كان الشعر ديوان العرب، بحيث لم تبرع في شيء مثلما برعت في قوله، وقد كان الغرض من هذا البحث كما أشرنا سابقاً التنبيه إلى ضرورة الوعي في التعامل مع منتجات الآخر الغرب، والحرص على الحفاظ على جملة الثوابت والقيم الجوهرية التي تمنح الثقافة العربية خصوصيتها وتصنع لها تميزها عن باقي الثقافات الأخرى، وهذه جملة من النتائج المتوصل إليها:

- الحداثة لا تعني مواكبة التطور والأخذ بكل منتج جديد، بقدر ما هي محاولة للتأليف بين الماضي والحاضر، بين التراث والمستقبل، حتى يكون لها مرتكزاتها التي تنبني عليها وتعطيها مبررات الوجود، لأن النقل الأعمى لما ينتجه الغير سيوقعنا في هوة التقليد وينزع عنا بذلك صفة التجديد التي نسعى إليها.
- لكل أمة مميزاتها الخاصة التي تميزها عن باقي الأمم، كما أن لكل أمة معارفها وثقافتها المستمدة منها ومن التفكير المنبعث من واقعها، وواقع الأمة العربية يختلف عن واقع الأمم الأخرى ويجعل لها ثقافة خاصة بثوابت خاصة لا يمكن الاستغناء عنها لأنها الجوهر الذي تنبني عليه تلك الثقافة.
- مثلما أن هناك ثوابت خاصة بكل ثقافة فإن هناك أفكار مشاعة تدخل ضمن حيز الفكر الإنساني، هي التي يمكن التفاعل من خلالها بين الأمم دون أن نمس بأي مبدأ من مبادئ أي ثقافة أو بمقوماتها، فحافظ بذلك على ضرورة الانفتاح ونحني أنفسنا من هاجس الامحاء والذوبان في الآخر.
- إن ما يسمى اليوم بالحوار الثقافي لا يجسد بالفعل مفهوم الحوار بقدر ما يجسد مفهوم الاقتتال، فليس هنالك حوار بين الثقافات وإنما هنالك اقتتال ومحاولة إقصاء للطرف المغلوب على حساب الطرف الغالب، فالمغلوب لا بد له من القبول بكل ما هو سائد على مستوى الساحة الفكرية والذي لن يكون في مصلحته دون شك.
- إن عدم الوعي في الإقبال على منجزات الحداثة الغربية من شأنه أن يوقعنا في فخ التبعية الثقافية والنتائج المترتبة عن ذلك لن تمس الفكر العربي وحسب بقدر ما تمس هويته وكيانه كعنصر متميز عن غيره.
- إن حديث النهايات الذي شاع مؤخراً على مستوى الساحة الفكرية والنقدية يحمل في طياته مشروعا مضمرا للقضاء على مقومات الشخصية العربية، وحتى لو عمل الغرب به وانساقوا وراء مقولاته، فإن في ثقافتهم ما يتلاءم وهذا الحديث، لكن اختلاف واقع الثقافة العربية عن واقع الثقافة الغربية سيؤدي إلى طمسها وليس إلى حداثتها، ثم إن أحاديث الموت هذه ستخدم الثقافة الغربية بالدرجة الأولى وستمنح لها مشروعية عولمة أفكارها مادام أنها جاءت في سياق الحديث عن عولمة الفكر وعولمة الثقافة.

- إن الأدب فن يستمد وجوده من لغة الإنسان ومن مشاعره وعواطفه، وسيبقى الأدب موجودا مادام هناك إنسان يشعر ويحس، والقول بموته من منطلق عدم نفعيته قول لا يمكن تقبله بسهولة، لا سيما وأن الأدب قد أثبت نفعيته وارتباطه بالوظيفة الاجتماعية التي اضطلع بها في تحريك الضمائر وشحن الهمم وغيرها من الوظائف الأخرى.
- الأدب العربي أدب خاص بالأمة العربية وبلغة العرب، ولا يمكن عولمته أو ضمه إلى أي أدب آخر من منطلق عالمية الأدب، إذ إن عالمية الأدب تقاس بمدى إنسانيته وتعبيره عن تفكير أمته وليس بالانصهار في أدب أمة أخرى والذوبان فيه.

كانت هذه جملة النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، ولعل أهم نتيجة يمكن استخلاصها بل والعمل بها هي ضرورة الوعي النقدي في التعامل مع منجزات الغير، وغزبة أفكاره والإبقاء على ما يتناسب وثقافتنا وإقصاء كل ما يخالفها أو ما من شأنه القضاء عليها، ونحن بهذا لا ندعو إلى الانغلاق والاكتفاء بما عندنا، بل إن الانفتاح على الغير شرط لازم من شأنه أن يحرر الفكر وينير العقول، ولكنه لا بد أن يكون انفتاحا مشروطا ينبني على مجموعة من القواعد التي تحافظ على الخصوصية وتمنع من الوقوع في قيد التبعية.

الهوامش:

- * المؤلف المرسل
- 2: عبد العزيز حمودة: المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978)، ص 233.
 - 3: جابر عصفور: حوار الحضارات والثقافات، كتاب في جريدة، إصدار منظمة اليونسكو، العدد 101، يناير 2007، ص 17.
 - 4: إبراهيم سعفان: أزمة الفكر العربي - شهادات الأدباء والكتاب من العالم العربي - (الشارقة، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 2000)، ص 78.
 - 5: المرجع نفسه، ص 80.
 - 6: عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، (تحرير: سوزان حرفي، 2013) ص 196.
 - 7: سمير سعيد حجازي: إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، (القاهرة، إرطبية للنشر والتوزيع، 2004)، ص 13.
 - 8: عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، ص 9.
 - 9: جابر عصفور: حوار الحضارات والثقافات، ص 13.
 - * حسب ما ورد في كتاب: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغرب لمحمد شكري عياد ص 41، 42، فإن هزيمة 1967 كانت صدمة قوية أوجدت جيلا ضائعا ومناخا مريضا كان بمثابة تربة صالحة لتتوغل فيها جذور الحداثة وتنتعش، دون الاهتمام للخلفيات المعرفية لهذه الحداثة، أو إذا ما كانت تتناسب والعقلية العربية، بل دون أي مساءلة للأهداف المرجوة من وراء هذه المشاريع الحداثيّة.
 - 10: المرجع السابق نفسه، ص 7.
 - 11: علي حرب: حديث النهايات، (فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، 2004)، ص 24.
 - 12: فاضل تامر: اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1994، ص 82.
 - 13: جهاد فاضل: قضايا الشعر الحديث، (بيروت، دار الشروق، 1984)، ص 76.
 - 14: جهاد فاضل: أسئلة النقد - حوارات مع نقاد العرب -، (الذّار العربية للكتاب)، ص 17.
 - 15: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - 16: عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، ص 171.
 - 17: جابر عصفور: حوار الحضارات والثقافات، ص 13.
 - 18: عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، ص 179.
 - 19: ينظر: علي حرب: حديث النهايات، ص 21.
 - 20: عبد الوهاب المسيري: الحداثة وما بعد الحداثة، (دمشق، دار الفكر المعاصر، 2003)، ص 209.
 - 21: عبد العزيز حمودة: المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك، ص 11.
 - 22: ينظر: علي حرب: حديث النهايات، ص 24، 25.
 - 23: المرجع نفسه، ص 24.
 - 24: سمير سعيد حجازي: النقد العربي و أوهام رواد الحداثة، (القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2005)، ص 237.
 - 25: سمير سعيد: مشكلات الحداثة في النقد العربي، (القاهرة، الدّار الثقافية للنشر، 2002)، ص 15، 16.
 - 26: علي حرب: حديث النهايات، ص 27، 26.
 - 27: ينظر: عبد الملك بومنجل: في الشعر ونقده - مقالات وحوارات -، (الأردن، عالم الكتب الحديث، 2011)، ص 87.
 - 28: وليد مشوح: حوار ثقافات أم إلغاء هويات، مجلة الموقف الأدبي، العدد 386، السنة 31، كانون الأول 2001، ص 7.
 - 29: عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزيات المستعارة، الكتاب الثالث: تجليات ثقافة التمركز والمرجعيات المستعارة، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004)، ص 467.
 - 30: المرجع نفسه، ص 477.
 - 31: جابر عصفور: حديث النهايات، ص 24.
 - 32: وليد مشوح: حوار ثقافات أم إلغاء هويات، ص 5.
 - 33: ينظر: علي حرب: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، (المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000)، ص 167.
 - * ورد في كتاب علي حرب "حديث النهايات" عبارة موت الثقافة، مشيرا إلى إمكانية الحديث عن ذلك، ص 134.
 - 34: عبد الملك بومنجل: في الشعر ونقده، ص 129.
 - 35: ينظر: عبد الوهاب المسيري: العلمانية والحداثة والعولمة، ص 157.
 - 36: المرجع نفسه، ص 158.

37. ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 161
38. المرجع السابق نفسه، ص 165
39. ينظر: عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، (الأردن، دار جرير، 2007)، ص18.
40. تيري إجلتون: مقدمة في نظرية الأدب، ت: أحمد حسان، (الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1991)، ص19.
41. ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
42. و. روبسون: حاضر النقد الأدبي: تأليف طائفة من الأساتذة، ت: محمود الربيعي، (مصر، دار غريب للطباعة، 1998)، ص76.
43. ميخائيل نعيمة: الغربال، (دار نوفل، 1991)، ص26.
44. سيد قطب: النقد الأدبي، (أصوله ومناهجه، دار الشروق، 1990)، ص9.
45. ريتشارد هوجارت: حاضر النقد الأدبي، ص49.
46. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، (القاهرة، دار الفكر العربي، 2013)، ص12.
47. ينظر: المرجع السابق نفسه، ص13.
48. سيد قطب: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، ص10.
49. تزيفيطان تودوروف: الأدب في خطر، ت: عبد الكبير الشرفاوي، (المغرب، دار توبقال للنشر، 2007)، ص10.
50. تيري إجلتون: مقدمة في نظرية الأدب، ص21.
51. تزيفيطان تودوروف: الأدب في خطر، ص10.
52. أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي، (لبنان، دار الكتاب اللبناني، 1985)، ص16.
53. خليل نوري ميسهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، (بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 2009)، ص41.
54. بدوى محمود الشيخ: الهوية، (مصر، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، 2009)، ص8.
55. المرجع نفسه، ص9.
56. أزمة الفكر العربي: شهادات الأدباء والكتاب من العالم العربي، تقديم: إبراهيم سعفان، (سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2000)، ص7
57. عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، (دمشق، دار الفكر المعاصر، 2003)، ص229.
58. خليل نوري ميسهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ص 124.
59. المرجع السابق نفسه، 126
60. ينظر: المرجع السابق نفسه، ص128، 131.
61. أزمة الفكر العربي: شهادات الأدباء والكتاب من العالم العربي، تقديم: إبراهيم سعفان، ، 76، 77.